

العلامة محمد إقبال في عيون الأدباء العرب

Muhammad Iqbal in the eyes of Arabic Litterateurs

* د. سلمى أنجم

الأستاذة المساعدة، قسم الدراسات الإسلامية، جامعة الشهيد بينظير بوتو، بيشاور drsalma46@gmail.com

** د. نازيه بي بي

محاضرة، قسم الدراسات الإسلامية، جامعة الشهيد بينظير بوتو للنساء، بيشاور

ABSTRACT

Iqbal is known as a revolutionary poet, and Islamic intellectual, a religious reformer, pioneer of Islamic awareness and a great leader of the Muslims of the sub-continent. He was introduced to the Arab world during the early part of 20th century and became popular after the translations of his work into Arabic. Scholars, thinkers, writers, and politicians of Arabia were very much influenced by his literary works. A number of books were written on him. Other scholars and Muslim thinkers study his works with keen interest even in the modern times. Iqbal was paid rich tributes by Arab writers and thinkers for his unique wealth of literary works. In this article we present the views of Arabian writers about his literary status.

Keywords: *Iqbal Literary Works, Arabian Thinkers, Iqbal's Influence*

التمهيد

لم يكن إقبال شاعراً عادياً أو شاعراً محدود الأفق أو شاعراً من شعراء الوطنية الإقليمية الضيقة بل كان شاعراً عظيماً وفيلسوفاً ومفكراً ورائداً من رواد الأدب، ومن أبرز الشخصيات الإسلامية الموسوعية التي أسهمت في إثراء الفكر الإسلامي وتقديم فكر تجديدي لتصحيح حال المسلمين في زمن يرضخ فيه العالم الإسلامي تحت الاستعمار.

وهو من الشعراء القلائل الذين وهبوا حياتهم للفكرة الإسلامية، فقد أقام شعره وقلمه وبيانه، في سبيل تجلية عظمة الإسلام وفضله. وما من شاعر كتب عن الإسلام إلا خلط فيما كتب عنه فنوناً آخر ما عدا إقبال. وقد تجاوزت شهرته الآفاق، وعلا نجمه في سماء الشعر علواً لفت أنظار

المفكرين والأدباء في كل قطرٍ من أقطار الدنيا وعُرف العلامة إقبال في البلاد العربية في أوائل الثلاثينات من القرن العشرين، وذلك عقب عودته من مؤتمر المائدة المستديرة الثاني بلندن في أواخر عام 1931م.

تعدّ هذه الزيارة فاتحة للعلاقة القوية التي نشأت بين الأدباء العرب وإقبال، وقد هبّ كثير من الأدباء و الكُتاب العرب لترجمة أشعاره ونقلها إلى العربية، ولم تقتصر الترجمة على أشعاره فقط بل ترجمت كثير من أعماله الأخرى إلى اللغة العربية، وجعل كتابهم يكتبون عنهم كتباً ومقالات في تقيظه وعظمته إجلالاً له وإعجاباً به. وفي هذا العجالة نريد أن نعرض من آراء مفكري العرب وأدبائهم وشعرائهم عن شخصية إقبال وبعض من أعماله وآراءه الفلسفية التي كان لها أكبر الأثر في فكر الإسلامي الحديث.

احتفلت جامعة القاهرة ب مصر بذكرى العلامة محمد إقبال عام 1956م، وحضرها كبار من أدباء و علماء و عظماء، وألقى معظم هؤلاء كلمة عن العلامة إقبال؛ حياته أو شعره أو فكره ففي كلمته المعبرة، قال الأستاذ الدكتور طه حسين:

"إن العلامة إقبال كان حريصاً أشد الحرص على أن يؤمن بنفسه، وأن يحمل الناس على أن يؤمنوا به . أن يؤمن بشخصيته و يحمل الناس، لا في باكستان والهند وهدهما، ولا في العالم الإسلامي وحده بل في العالم الإنساني كله، كان حريصاً على أن تكون حياة الإنسان قائمة على إيمان الفرد بنفسه، و على أن يفرض الفرد نفسه على الحياة؛ لا أن يخضع لها كان اجتماعياً كأشد ما يكون الإنسان إخلاصاً للجماعة، أن أفنى حياته كلها مرشداً معلماً ناصحاً داعياً للعالم الإسلامي ولللإنسان إلى أن يكرم على نفسه ليكرم على الناس و ليكرم على الحياة" (1).

(2) وقال الأستاذ عباس محمود العقاد عن العلامة إقبال هذه الكلمات الرائعة:

"لم يكتف إقبال بأن يتجه برسالته هذه إلى أبناء وطنه المسلمين في الهند بل توجه بها إلى مسلمي العالم كافة، وقصد بها أن تكون رسالة عالمية للناس جميعاً حيثما كانوا من أرجاء الأرض" (3).

و الصحفي المصري المشهور أحمد بهجت يقول عنه في الاحتفال الذي قام به صحيفيو مصر بالقاهرة :
 "هذا هو الشاعر محمد إقبال الذي احتفلت به نقابة الصحفيين منذ يومين، وهو الشاعر الذي كان حلمه عن باكستان أحد أسباب قيامها كدولة، وقد قال هذه المناسبة إن الدول تولد في صدور الشعراء أولاً، وتنشأ و تموت في أهل السياسة" (4).

والعلامة السيد سليمان الندوي يقول عنه:

"لا نعرف و لا نكاد، من شعراء العربية و الفارسية و التركية من جعل لكتاب الله في شعره تلك المنزلة

(5) التي جعلها إقبال له" .

و الشاعر المصري د. حسين مجيب المصري كتب عنه:

"إقبال هو عبقرى الفكر و الروح في عالم الإسلام الحديث، متزود زاده من ثقافات الشرق و الغرب ففهمه حق الفهم لا يتأتى في يسر و هينة؛ لأنه مستوجب من متفهمه أن يكون من أولى العلم و أهل التحصيل"⁽⁶⁾.

وقال الأستاذ العراقي جعفر الخليلي عن إقبال هذه الكلمات الرائعة:

"يرى العلامة إقبال أن الإنسان الذي يريد أن يعرف نفسه الحياة لا بد عليه أن يعد عدته لذلك، وأن عدته هذه عبارة من إتقان الرؤية و إتقان السمع و السعي وراء العلوم، و إلا فإنه سيقصر عن فهم الحياة و أسرارها... إنه شاعرٌ مبدعٌ يحق للأدب و الفلسفة و المعرفة أن تفخر به، نابغة من نوابغ الفكر، ذلك هو الشاعر العبقرى محمد إقبال الشاعر المسلم المؤمن الحكيم شاعر باكستان الخالد"⁽⁷⁾.

و الشاعر المصري الكبير الشهير د. عبد الوهاب عزام يخاطبه بألقاب مختلفة في كتابه الذي ألفه عن حياته و شعره و فلسفته، فيقول:

"يا شاعر الجمال! صورته في الأرض و السماء و اليبس و الماء و في الصحارى الجرداء و الحدائق الغناء، و في الصبح و المساء، و الضياء و الظلماء، و صورته في كل خلقٍ كريمٍ و منهجٍ قويمٍ.
يا شاعر الإسلام و يا شاعر المشرق و يا شاعر الحياة و يا شاعر الإنسانية و يا شاعر الحرية و الجهاد و التقدم و الإقدام و يا شاعر الجمال و الجلال..."⁽⁸⁾.

و الشيخ أبو الحسن الندوي الذي تأثر بإقبال تأثراً شديداً يقول عنه:

"إنني أحببته و شغلت به كشاعر "الطموح و الحب و الإيمان"، و كشاعر له عقيدة و دعوة و رسالة، و كأعظم نائر على هذه الحضارة الغربية المادية، و كأعظم ناقد لها و حاقد عليها، و كداعية إلى المجد الإسلامى و سيادة المسلم، و من أكبر المحاربين للوطنية و القومية الضيقتين، و أعظم الدعاة إلى النزعة الإنسانية و الجامعة الإسلامية"⁽⁹⁾.

و يقول أيضاً:

"كان الدكتور إقبال معتزلاً بتراث الإسلام و حضارته و تاريخه، و اثنى الصلة بذات الرسول صلى الله عليه

و سلم، و من اهتدى بهديه من الصحابة الكرام و متبعيهم من الدعاة و السلاطين و العلماء"⁽¹⁰⁾.

و نجد من السعودية سفيرها في باكستان، رياض الخطيب الذي تأثر بأدب إقبال و فكره، يقول عنه:

"كان إقبال مجموعة أشخاص في رجل، كان عالماً روحياً كبيراً و فيلسوفاً عظيماً و شاعراً عبقرياً مبدعاً، و مسلماً قانتاً مؤمناً و لم يكن إقبال شاعر باكستان و فيلسوفها فحسب، وإنما كان شاعر و فيلسوف الأمة الإسلامية عموماً و بلبلها الغريد"⁽¹¹⁾ .

وقال د. محمد السعيد جمال الدين الكلمات التالية عن إقبال:

"و أنا أقول: إن إقبال لم يكن شاعر الرسالة فحسب، بل كان كحسان رضي الله عنه شاعر الرسول أيضاً،

فكان إقبال بذلك شاعر الرسول و الرسالة في عصرنا الحديث"⁽¹²⁾ .

كما قال الأستاذ أحمد حسن الزيات⁽¹³⁾ عن إقبال:

"إذا كان حسان شاعر الرسول فإن محمد إقبال شاعر الرسالة"⁽¹⁴⁾ .

ويقول أيضاً:

"لو أن إقبالاً اقتصر في ثقافته على البيئته الشرقية لظن الغافلون... الظنون، ولقالوا عنه إنه صورة لمجتمع الشرق الرجعي المحافظ، و لكن شاعر الإسلام تنقل و ارتحل و درس في الغرب كما درس في الشرق و نال ثقافات و درجات من إنجلترا و ألمانيا ثم عاد إلى وطنه و هو أكثر إيماناً بربه و أوثق يقيناً بدينه و أشد صلابَةً في روحه الإسلامي و أبعد همة في التبشير بتعاليم محمد صلى الله عليه و سلم"⁽¹⁵⁾ .

و الأستاذ أنور الجندي الصحفي الشهير المصري يقول عنه:

"كان لإقبال و لا يزال أثرٌ بعيدٌ في الأدب الإسلامي كله، و ما تزال أفكاره و رؤاه تعطي و توحى و

تلهم على مدى العصور في القارة الإسلامية كلها و ليس القارة الهندية وحدها"⁽¹⁶⁾ .

و هذا الأستاذ توفيق الحكيم⁽¹⁷⁾ الكاتب الأديب المصري المشهور يقول:

"الشاعر محمد إقبال هو مفخرة من مفاخر الشرق في عصوره الحديثة، فهو الخلاصة النقية للمعرفة الكونية النابعة من الشرق، للمعرفة العقلية الصادرة عن الغرب، و شعره يتضوع بعطور من أزهار البلاد و الأجناس التي تكونت منها طبيعته و تلونت شخصيته، و امتزج فيها خيال الشرق و حكمة العرب و علم الغرب، و شمع بقبس من الإشعاع الإلهي مع الفكر المتأمل من العقل الإنساني كان إقبال هو بحق المفكر المجدد

في فهم الإسلام و الكاشف الصادق لجوهره العظيم"⁽¹⁸⁾ .

و الأستاذ إحسان حقي⁽¹⁹⁾ الكاتب الأديب السوري يقول:

"كان إقبال مشهوراً كشاعرٍ وفيلسوفٍ في الهند، ولكن شهرته في أوروبا كانت أعظم من شهرته في بلاده لأن الأوربيين كانوا على منزلة رفيعة من العلم تفوق ما كان عليه الهنود، ولذا فإنهم كانوا يقدرّون ما ينطوي عليه هذا العبقرى من أفكار فلسفية وعلوم واسعة وآراء بعيدة المدى"⁽²⁰⁾.
و الدكتور أحمد معوض الأستاذ المصري يقول:

"لم يكن إقبال شاعراً فيلسوفاً فحسب بل كان أيضاً معلماً وقائداً من قادة الأمة الإسلامية في ميادين الكفاح والنضال والجهاد، وداعية لوحدة المسلمين ونهضة أمة لا إله إلا الله"⁽²¹⁾.
وهذا قول الأستاذ أسعد محفل:

"إن عظمة إقبال السياسي تتعدى حدود دولته فهو بفلسفته وشاعريته وآرائه وروحته يتبوأ مكانته إلى جانب عظماء الإنسانية الخالدين"⁽²²⁾.
ويقول أ. د. حسن محمود عبد اللطيف الشافعي - رئيس الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، سابقاً-
عن إقبال:

"...فهو أحد الرجال الذين بنوا وطنهم وكتبوا تاريخه وإن لم تكتحل عيناه برؤية باكستان التي رسم خريطتها، ونشر فكرتها، وقاد حركتها بين القائدين في إخلاص واقتدار، ولكن ذلك لم يشغله عن هموم أمته الكبيرة ووجودها العالمي، ورسالتها الإنسانية"⁽²³⁾.
وقال الأستاذ السوري خلدون الأحذب الكلمات التالية:

"ينبغي العلامة إقبال من تجديده للتفكير الديني في الإسلام أن تعود القوة للمسلم، أن يرى قوته هذه ليست باتباع فلسفات من فلسفات الغرب بل في فهم الإسلام فهماً صحيحاً على نحو ما فهمه الأوائل، لا على ما صار إليه أمرٌ في عهد الركود"⁽²⁴⁾.

ويكتب د. ظهور أحمد أظهر⁽²⁵⁾ في كتابه المشهور عن إقبال، فيقول:

"والحق يقال: إن إقبال شاعرٌ فيلسوفٌ لا نظير له في التاريخ البشري فإنك لن تجد شاعراً أو فيلسوفاً كان شعره وفلسفته وراء إنشاء دولة أو تكوين شعبٍ إلا إقبال!! فهو الذي ألهم باكستان، وكون شعره وفكره شعباً قوياً ناهضاً قام بإنشاء دولة باسم الإسلام ومن أجل الإسلام، ولن تجد شاعراً أو فيلسوفاً اهتم به البشرية أشد ما يمكن وفي وقت قصير وبكل تكريم واحترام غير إقبال! فهو الوحيد الذي أصبح أكبر مركز لاعتناء الدارسين والباحثين في الشرق والغرب على السواء"⁽²⁶⁾.

و قال أستاذ الفلسفة بكلية الآداب بجامعة القاهرة الدكتور عثمان أمين عن شخصية إقبال:

"الدكتور محمد إقبال شخصية جذابة، لها على القراء سحرٌ عجيبٌ، و لعل مرجع ذلك إلى أنه يغوص في المعاني الفلسفية العميقة، فيحسن تناولها و سبكها و يجليها للناس ببيانه الأملعي و شعره الناصع و تشبيهه الرائع، و يجعل كتبه، على غزارة مادتها و عمق موضوعاتها، روضةً غنّاء تسر الناظرين"⁽²⁷⁾ . و كتب د. محمد حسين هيكل عن إقبال:

"فقد كان هو صاحب الوحي الأكبر بها... وسيظل اسمه العَلَم الخفاق في سائها، وسيذكره أهلها ما ترنم بشعره العذب القوي مترنم، سيظل هذا الشعر مئات السنين يترنم به كل رجلٍ و كل امرأة في هذه الدولة الإسلامية الفتية كما يترنم المتكلمون بالعربية اليوم بشعر الخالدين من شعرائهم الأعظمين"⁽²⁸⁾ .

وكتب الدكتور نجيب الكيلاني كتاباً قيماً عن إقبال بعنوان (إقبال الشاعر الثائر) جاء فيه ما يلي:

"كان إقبال مثل الصيدي الذي يحضر الدواء الشافي و يجده مُر المذاق غير مستساغ الطعم لا يقبله المريض، لكن هذا الصيدي البارع يفكر في الأمر، و يقدر زناد فكره، و يجري التجارب العديدة حتى يتمكن من إضافة مادة معينة جميلة الطعم و الرائحة إلى الدواء المر، فتحجب مرارته، تجعله مستساغاً مقبولاً، دون أن تنقص من فائدته المريض شيئاً"⁽²⁹⁾ .

الحواشي (References)

- 1 محمد السعيد جمال الدين و أمجد سيد أحمد: نخبة من آراء مفكري العرب حول محمد إقبال، (د.ط.ت) ساعدت على نشره السفارة الباكستانية بالقاهرة، ص/6، وانظر كذلك د. ظهور أحمد أظهر، إقبال العرب على دراسات إقبال، ط1، المكتبة العلمية لاهور (د.ت) ص/33
- 2 عباس بن محمود بن إبراهيم بن مصطفى العقاد: (1889 - 1964 م) إمام في الأدب، مصري، من المكثرين كتابة وتصنيفاً مع الإبداع. أصله من دمياط، انتقل أسلافه إلى الحلة الكبرى، وكان أحدهم يعمل في (عقادة) الحرير. فعرف بالعقاد. وأقام أبوه (صرافاً) في اسنا فتزوج بكرديّة من أسوان. و ولد عباس في أسوان وتعلم في مدرستها الابتدائية. وشغف بالمطالعة. وسعى للرزق فكان موظفاً بالسكة الحديدية وبوزارة الأوقاف بالقاهرة ثم معلماً في بعض المدارس الأهلية. وانقطع إلى الكتابة في الصحف والتأليف، وأقبل الناس على ما ينشر. تعلم الإنكليزية في صباه وأجادها ثم ألم بالألمانية والفرنسية وظل اسمه لأمعاً مدة نصف قرن أخرج خلالها من تصانيفه 83 كتاباً في أنواع مختلفة من الأدب الرفيع، منها كتاب (عن الله) و (عبقريّة محمد) و (عبقريّة خالد) و (عبقريّة عمر) و (عبقريّة علي) و (عبقريّة الصديق) و (رجعة أبي العلاء) و (ديوان العقاد) و = غيرها، وكلها مطبوعة متداولة. و صدر له بعد وفاته كتاب سماه ناشره (أنا). بقلم عباس محمود). وكان من أعضاء الجامع العربية الثلاثة (دمشق والقاهرة

وبغداد) شعره جيد. ولما برزت حركة التحلل من قواعد اللغة وأساليب الفصحى عمل على سحقتها. وكان أجش الصوت، في قامته طول، نعت من أجله بالعملاق. توفي بالقاهرة ودفن بأسوان. انظر: الزركلي، الأعلام، ط16، دار العلم للملايين، يناير 2005/266.

- 3 مجلة الفيصل، الرياض - السعودية، العدد:173، يونيو- يوليو 1991م، ص/40.
- 4 أحمد مجت، محمد إقبال، إقباليات، عددٌ خاصٌ بالعربية، 1992ص/147.
- 5 مجلة الفيصل، العدد:174، ص/40.
- 6 د. حسين مجيب المصري، إقبال و القرآن، (د.ط) مكتبة الإنجلو المصرية، 1978 ص/29.
- 7 مجلة الثقافة الإسلامية، العدد:15، تشرين الأول و الثاني، 1988م، ص/8.
- 8 د. عبد الوهاب عزام، محمد إقبال سيرته و فلسفته و شعره، ط3، أكاديمية إقبال لاهور 1985، ص/12، و مجلة الثقافة الباكستانية، العدد:15، تشرين الأول-الثاني 1988، ص/18.
- 9 نخبة من آراء مفكري العرب حول محمد إقبال، ص/6.
- 10 الندوي، روائع إقبال، ط4، مجلس نشرات إسلام ناظم آباد كراتشي 1984، ص/6.
- 11 الدراسات الإسلامية، عددٌ خاصٌ بإقبال، يونيو-ديسمبر 1977، ص/228-229.
- 12 محمد السعيد، نخبة من آراء مفكري العرب، ص/63.
- 13 أحمد بن حسن الزيات (1885 - 1968 م) صاحب مجلة (الرسالة) . أديب من كبار الكتاب، مصري. ولد بقرية كفر ديمرة القديم، في طرخا، ودخل الأزهر قبل الثالثة عشرة، وفصل قبل إتمام دراسته. وانتخب عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة. وعين في المجلس الأعلى للآداب والفنون. وكان قبل ذلك من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق. ونال جائزة الدولة التقديرية.
- وله تاريخ الأدب العربيّ وحي الرسالة وترجم عن الفرنسية (آلام فرتر - ط) لجوته، و (روفائيل - ط) للامارتين. وكان من أرق الناس طبعاً، ومن أنصع كتاب العربية ديباجة وأسلوباً.
- انظر: الزركلي، الأعلام، 32/6.
- 14 نخبة من آراء مفكري العرب حول محمد إقبال، ص/63.
- 15 مجلة الفيصل، العدد:173، ص/40.
- 16 عبد اللطيف الجوهري، مع إقبال، ط1، مكتبة الثور، مصر، 1986م، ص/150.
- 17 توفيق الحكيم : هو حسين توفيق الحكيم ... كاتب مسرحي و قصصي مصري، ولد في مدينة الإسكندرية عام 1902م، تعلم في مدارس الكتاب في بعض القرى في الدلتا، حائزاً على شهادة الحقوق من جامعة القاهرة عام 1925م، و عمل بالنيابة في مدينة الإسكندرية، القضاء الأهلي و مدير إدارة التحقيقات بوزارة المعارف، ومدير الإرشاد الاجتماعي ثم عمل في الصحافة بصحيفة "اليوم" و عضواً متفرقاً بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون و الآداب و العلوم.
- وله: أهل الكهف، و أهل الفن، و شهرزاد، و لعبة الموت، و عودة الروح، و غيرها. انظر أحمد العلاونة، ذيل الأعلام، ط1، دارالمنار للنشر والتوزيع 1988، 72/1.
- 18 عبد اللطيف الجوهري، مع إقبال، ص/151.
- 19 د. إحسان حقي : هو إحسان بن إسماعيل حقي 1904-1993م، مؤرِّخٌ حسيِّفٌ ولد بدمشق، ونال الدكتوراة

- من جامعة لوزان بسويسرة، وعمل مدرساً بسورية، ثم بجامعة عليكرة بالهند، ثم أبعده الإنكليز إلى أوربا سنة 1929م، فقصده فرنسا، و مكث في أوربا بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، وعمل في التجارة حتى عام 1966م، حيث قفل راجعاً إلى الشام. له باكستان ماضيها و حاضرها، تونس العربية، ومسلم الغد، و مأساة كشمير المسلمة، وغيرها.
- انظر: أحمد العلاونة، ذيل الأعلام، ص/20.
- 20 نداء إقبال، دارالفكر، بيروت، 1986، ص/64.
- 21 أحمد معوض، محمد إقبال: حياته و آثاره، ط1، الهيئة المصرية العامة 1980، ص/6.
- 22 أسعد محفل، ذكرى محمد إقبال، دار الفكر، دمشق، 1964م، ص/19.
- 23 نخبة من آراء مفكري العرب حول محمد إقبال، ص/69.
- 24 جاسم محمد تقي، إقبال والعالم العربي، باكستان المصورة، العدد: 9، ص/20.
- 25 ظهور أحمد أظهر: ولد 1937م، ماجستير و دكتوراه في اللغة العربية و آدابها من جامعة البنجاب، ماجستير في الدراسات الإسلامية من جامعة البنجاب، يجيد الأردية و العربية و الإنجليزية، و يقرأ الفارسية و الفرنسية و الإسبانية، أسهم في دائرة المعارف الإسلامية بالأردية، له مئات المقالات في المجلات و الصحف العربية الباكستانية والأجنبية، درس و حاضر و شارك في مؤتمرات علمية في السعودية و الإمارات و الكويت و مصر و الجزائر و المغرب بالإضافة إلى باكستان و الهند.
- هو مؤسس المجمع العلمي الباكستاني و عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ورئيس تحرير مجلة قافلة الأدب الإسلامي، حاز على جائزة نجمة الامتياز من الحكومة الباكستانية، فاز ببحثه في السيرة عن فصاحة النبي عليه السلام بالجائزة الأولى بباكستان، ترجمت كتبه لعدة لغات، وله ترجمة عربية لبعض روايات نسيم الحجازي الأردية، له : إقبال العرب على دراسات إقبال، و إقبال في الشعر العربي.
- 26 د. ظهور أحمد أظهر، إقبال العرب على دراسات إقبال، المقدمة، ص/ي.
- 27 المرجع السابق، ص/7.
- 28 د. ظهور أحمد أظهر، إقبال العرب على دراسات إقبال، ص/7.
- 29 د. نجيب الكيلاني، إقبال الشاعر الثائر، ط4، مؤسسة الرسالة بيروت 1981، ص/109.